تأديب الصحافة

للاستاذ محمد ابراهيم الخالدى

لا شك أن سمات الدهشة سترتسم على محياك حين تقرأ عنوان هذا المقال ، وستنكر أن تتهم الصحافة ، وأن تساق إلى تأديب أو عقاب . ولن ترضى وأنت المتعشق للحرية فى جميع ضروبها ، المستشرف لعصر تتحقق فيه آمال البلاد أن ترى (صاحبة الجلالة) تهان ، وتذل ، وتنزع عن عرشها ، لتساق إلى مجلس قضاء

وأنا معك أيها القارئ فيما تنكره ، لا أرضى للصحافة ذلك المصير المحزن؛ بل أحب لها أن تبقى على عرشها ، عزيزة الجانب ، مرموقة المكانة ، وأن يزداد قدرها علوا ، لتنهض بواجبها خير نهوض . ولكننى مع ذلك أدعو إلى تأديبها — على نحو آخر لتستطيع أن تساهم فى بناء الإصلاح على دعائم صحيحة ، ولتكون وسيلة راقية ترتفع بالشعب وترقى به شيئاً فشيئاً إلى مدارج الرقى ومطامح الآمال

والصحافة إحدى وسائل ثلاث فى العصر الحديث تقدم للناس ما يضطرب فى عالم الأرض من أحداث ، وما يجول فى عالم الذهن والقلب من أفكار ومشاعر تشاركها فى ذلك الإذاعة والسينما ، وتتضافر كلها على تغذية المرء بما يحتاج إليه عقله وقلبه

وسيطرة هذه الوسائل الثلاث على الناس وانتشارها بينهم دليل على أن الانسان متطلع أبداً إلى معرفة ما يجرى حوله من أمور لا يكتفى بغذاء المعدة بل يسعى وراء ذلك إلى غذاء العقل والقلب ، فيطلبه فى صحيفة يقرؤها ، أو فلم يشاهده ، أو إذاعة يستمع إليها

ولقد انتشرت الصحافة فى هذا العصر انتشارا عظيما ، وأصبحت فى كل بيت يقرأ ، ولعل من أقوى أسباب انتشارها رخص ثمنها وتقدم طباعتها وإخراجها تقدماً عظيما . فهناك عدد من الصحف الأسبوعية والشهرية التى تصدر فى البلاد العربية ، تستهوى القارئ بجمال الطباعة وحسن التنسيق . كما أن عرض الموضوعات أصبح فناً من الفنون تجمع له الصور المعبرة ، ويحشد له الأسلوب الطلى ، ليكون التأثير فى القارئ أبلغ ، والوصول إلى مواطن شوقه واهتمامه أسرع . ولهذا فإنى أرى أن للصحافة أثراً كبيراً فى الشعب لا يقل عن أثر الوسيلتين الأخريين ؛ فهى تعبر عن آمال الشعب ورغباته ، كما أنها توجهه إلى هذا الاتجاه أو ذاك

ولا شك أن الصحافة العربية قد خطت خطوات واسعة نحو التقدم فلم يعد عملها نقل الأخبار ورواية الأنباء وإنما تعدت ذلك إلى تثقيف الشعب ، ونقد المجتمع ، وعلاج الأدواء ، وتوجيه الآراء ؛ ومن ثم فقد أصبحت من الوسائل القوية التى ترجو لها القوة والخير ، لأنها لم تعد ملكا لأصحابها وإنما صارت ملكا للشعب ، فهى مسؤولة عما تخلق فيه من تيارات صالحة أو فاسدة، وعما تصور له من أهداف ومثل

ولكن صحافتنا — مع الأسف — لا تسير نحو أهداف واضحة ، ولا تطبق مبدأ محدوداً ، وإنما أكثر صحفنا تسعى وراء الربح المادى ، فتجارى أهواء الشعب وتسعى إلى إحراز مايرضيه لا إلى ما ينفعه ، لتضمن الرواج والقبول ، ولهذا فإن صحافتنا محتاجة إلى تطعيم من دم الأدب ، يكسبها قوة ، ويجعلها أقدر على أداء مهمتها

وحين أتحدث عن الأدب ، فإنما أعنى ذلك النوع من الأدب الذى يستحق الخلود بسمو أفكاره ، وجمال تعبيره ، واتساع محيطه . ومن أبرز صفات الأدب الحى : الحرية والجمال ، الحرية فى أن يقول الأديب ما يشاء كما يملى عليه عقله وضميره ، وأن يلتزم الرأى الذى يعتقد ، لا يسعى لإرضاء المجتمع ولا إلى تملقه ليتال رضاه ، كما لا يقصد إلى مبادئه ومثله ومعتقداته بالهدم والتحطيم. ثم التعبير عن آرائه وأفكاره بالقول الجميل ، والتعبير الحى ، وإخراج ذلك كله فى حلة رائعة من الفن

فصحافتنا بحاجة إلى تأديب لاكتساب الروح القوية التى تشيع فى الأدب الخالد ، والتى تهتم بالفكرة قبل الناس ، والتى ترى أن من أقوى واجباتها أن ترفع الشعب إلى مستوى راق من التفكير والتهذيب والذوق لا أن تنزل إلى غرائزه وأهوائه وإلى ما يريد ومالا يريد ، هى جديرة بأن تقتبس تلك الكرامة العقلية التى يتصف بها الأدب ، وبأن تتعلم من الأدب السمو بالقارئ